من القواعد الثابتة ذات الأمثلة المحفوظة المكرّرة صار العروض غاية تقصد حتى بَعُدَ ما بين الشعر والعروض من مسافة . والذي أراه في هذا الصدد هو أنّ العروض إجراء علمي كشف القواعد الصوتية للأنماط النغمية الموسيقية التي يجري عليها الشعر العربيّ . وهو بمجمله إنجاز علمي كبير وابتداع خليليّ فائق . لكنّ استخدام العروض في التطبيق النقدي ينبغي أن يعود إلى محاولة كشف الأنماط النغمية للشعر المدروس عن طريق القراءة الموقّعة بأشكال متعدّدة من السرعة والبطء . وهذه الأنماط النغمية هي التي تستحضر في روع المبدع حين يبدع ، ولذلك هي أقرب إلى روح النص من أيّ إجراء آخر كاصطناع تقنية التفعيلة والبحر إو الإغراق في عدّ الزحاف والعلل ونحو ذلك ممّا تعنى به دروس العروض في أشكالها المدرسية[1] .

إذن هناك بحث عن « موسيقا » النص الشعري لا عن عروضه ، لأن عروضه شكل درسي منته ، أما موسيقاه فضروب من الإيقاع الذي يبدأ من **الصوت والحرف والبناء والتركيب والشكل** . أما الصوت فهو الصائت (voyelle) القصير أو الطويل ، كالضمة والكسرة والفتحة ، والواو والياء والألف . فالأصوات المتماثلة تحدث إيقاعاً معيناً حين تكرارها . كذلك يحدث تكرار الحروف أي الصوامت (Consonnes) إيقاعات أخرى تأتلف مع الصوائت عادة . مثال ذلك ما نراه في قول أبي تمّام :

تـــــدبير معتصمٍ بـــــالله منتقمٍ لله مرتقبٍ في الله مرتغبِ

فهناك في الشطر الأول :
م + كسر (معتصم)
م + كسر (منتقم) م

وفي الشطر الثاني :
ب + كسر (مرتقب)
ب + كسر (مرتغب) ب

وفي الشطرين معاً تقارب صوتي بين الميم والباء لأنهما حرفان (صوتان) من

(١) انظر للتوسع ما كتبه عبد الملك مرتاض حول الصوت والإيقاع في كتابه : بنية الخطاب الشعري ، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر ، ١٩٩١ م .